مِنْ تَارِيخِ بَنِي إِسْرائِيلَ وَدَعْوَةِ النَّبِيِّ مُوسَى إِيَاهُمْ بِشَهادَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

الشيخ الدكتور منصور مندور
من علماء الأزهر الشريف
جمهورية مصر العربية

فحوى البحث

يجهل كثير من شبابنا وابنائنا حقيقة بني اسرائيل وتاريخهم، ومن هو (اسرائيل) ومن هم بنوه، ومن هم انبياء بني اسرائيل، و ما هي كتبهم؟. وقد تناولها الباحث بايجاز كما تناول تاريخ بني اسرائيل من يعقوب عليه السلام الى (يوشع بن نون)، وعرض لذكر انبياء بني اسرائيل وكتبهم.

وفي مبحث آخر، عرض السيد الباحث لنبي الله موسى عليه السلام وعصره ودعوته قومَهُ ورحلتهم الى بلاد فلسطين. عرض كل ذلك من خلال الرؤية القرآنية الصادقة التي لم تترك جانباً من هذا التاريخ وفي مواضع كثيرة من سوره وآياته المباركة.

المبحث الاول:

نبذة تاريخية مختصرة عن بني إسرائيل عموما:

بنو إسرائيل هم أبناء إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

وإسرائيل كلمة عبرية مركبة من جزئين؛ الأول (إسرا) بمعنى عبد أو صفوة والثاني (إيل) بمعنى الله، وبذلك يكون معنى إسرائيل: عبد الله أو صفوة الله.

وترى السخف والاسطورة عياناً عندما تقرأ في كتب اليهود التعليل لتسمية يعقوب بإسرائيل، فتدعي -كما في كتبهم[1] -أن الله قابل يعقوب في الصحراء، فصارعه حتى كسر حق فخذه، فأمسك به يعقوب ولم يتركه حتى قال له الإله: اتركني، فقال يعقوب: لا أتركك حتى تباركني، فقال له الإله: ما اسمك؟. قال يعقوب، قال: لا يكون اسمك بعد اليوم يعقوب بل إسرائيل.

ولقد جاء ذكر (إسرائيل) في القرآن الكريم في (ثلاثة وأربعين) موضعا بصيغة يا بني إسرائيل، منها موضعان فقط بلفظ (إسرائيل)، في آل عمران آية (٩٣) وفي مريم آية (٥٨) وجاء ذكر يعقوب في (١٦) موضعاً في القرآن الكريم[2]. وقد رُزق يعقوبُ باثني عشر ولداً من أزواجه.

فمن ليئة ستة أولاد وهم: رأوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يسَّاكر، زبولون. ورزق من زوجته (راحيل) اثنين هما: يوسف وبنيامين. ورزق من (زلفا) جارية ليئة اثنين هما: جاد وأشير. ورزق من (بلها) اثنين هما: دان، نفتالي.

ومن أبناء يعقوب وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه[3].

(١) سفر التكوين إصحاح٣٢ عدد٢٥-٢٩.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (محمد فؤاد عبد الباقي) مادة (إ س ر) صـ٤٣ ومادة (ي ق ن) صـ٩٣٩ ط دار الحديث القاهرة.

(٣) بتصرف: بنو إسرائيل في القرآن والسنة أ د محمد سيد طنطاوي صـ١٢ ط أولى دار الشروق، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د سعد الدين صالح ط: مكتبة الصحابة الإمارات الشارقة صـ٥٥.

ثانياً: تاريخ بني إسرائيل من يعقوب إلى يوشع بن نون:

على أثر ما حاق بفلسطين من مجاعة، وما أصاب مراعيها من جدب وقحط وجفاف، هاجر يعقوب عليه السلام بأهله من فلسطين إلى مصر حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وذلك بسبب أن أبناء يعقوب كانوا يترددون على مصر بقصد التجارة، وطلب القوت، فتعرفوا على أخيهم يوسف عليه السلام الذي كان في ذلك الوقت أمينا على خزائن مصر، فأكرمهم وطلب منهم أن يحضروا جميعا ومعهم أبوهم يعقوب إلى أرض مصر ليعيشوا فيها، فحضروا إلى مصر وكان عددهم ستا وستين نفسا سوى نسوة أولاده.

وقد أكرم يوسف عليه السلام مثوى أبيه وإخوته، ولقد أنزلهم ملك مصر في أرض جاسان[٤] بناء على رغبتهم، وكانت أخصب البقاع، وقال ليوسف: أبوك وإخوتك جاءوا إليك أرض مصر، ففي أفضل أراضيها أسكن أباك وإخوتك، ليكونوا في أرض جاسان.. فأسكن يوسف أباه وأخوته، وأعطاهم ملكا في أرض مصر في أفضل الأرض، وعال يوسف أباه وأخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد[٥].

وقد عاش بنو إسرائيل في مصر، ودفعهم إلى المكث فيها ما اكتسبوه من خيرات وما نالوه من أمن واستقرار بعد طول ترحال ومجاعات حلت بهم قبل ذلك، ووقعت مصر بعد ذلك تحت حكم الهكسوس؛ نَعِم خلالها بنو إسرائيل بحياة آمنة رخية طوال هذه الفترة.

فلما تمكن أحمس من الانتصار على الهكسوس وطردهم من مصر، وكان ذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد، بدت المخاوف تراود بني إسرائيل من نظام الحكم الجديد، ثم لما جاء عهد رمسيس الثاني أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة، جاهر المصريون بعداوتهم لبني إسرائيل، وأخذوا ينزلون بهم أشد الضربات وألوان العقوبات، وذلك لأنهم رأوا منهم عزلةً وغرورا واستلابا لأموالهم بطرق خبيثة، كما رأوا

(٤) تقع بمحافظة الشرقية -شرق القاهرة.

(٥) عن سفر التكوين الإصحاح ٤٧.

منهم أيضا تواطؤاً مع الهكسوس ضد أبناء الأمة الأصليين[٦].

هذا وقد حكى القرآن الكريم في كثير من آياته نماذج من العذاب الذي أنزله فرعون وجنده ببني إسرائيل. يقول الله تعالى في سورة القصص: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص: ٤].

وفي سورة البقرة يقول سبحانه ممتنا على بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٤٩].

وفي سورة إبراهيم يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[سورة إبراهيم: ٦].

وفي خضم هذه المصائب التي حاقت ببني إسرائيل، وهم يرزحون[٧] تحت نيران الاستعباد أرسل الله إليهم وإلى فرعون رسولين إسرائيليين من نسل لاوي أحد أبناء يعقوب هما موسى وهارون عليهما السلام ليدعوانهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وينقذانهم مما هم فيه من بلاء وذل ومهانة.

قال تعالى في الأعراف: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف ١٠٤-١٠٥].

فما كان من فرعون وجنوده إلا أن زادوا في إيذائهم لبني إسرائيل كما حكى القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

(٦) بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٢٠ بتصرف.

(٧) رزح: بمعنى ضعف وذهب ما في يده.

قَٰهِرُونَ ﴾[سورة الأعراف: ١٢٧]، فما كان من موسىعليه السلام إلا أن أوصى قومه بالصبر كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ١٢٨ -١٢٩].

إلى أن خرج موسى ببني إسرائيل من مصر قاصداً بلاد كنعان (فلسطين وما إليها وهي الأرض المقدسة التي وعدهم الله إياها) بأرض الشام، وكان ذلك كما يقول بعض المؤرخين: في عهد منفتاح بن رمسيس الثاني حوالي سنة ١٢١٣ ق م.

وكان عددهم قد نما وزاد في مصر إلى أن وصل إلى أن حملة السلاح فقط قد بلغوا (٦٠٣٥٠٠) نسمة[٨] ففي سفر العدد الإصحاح الأول أن موسى أحصى بني إسرائيل عند الخروج من مصر فوجد حملة السلاح منهم (أي الذكور ابتداء من سن العشرين) يبلغون (٦٠٣٥٠٠) وفي هذا إشارة إلى أن تعدادهم العام كان يزيد عن المليون[٩].

ونجى الله موسى و بني إسرائيل من بطش فرعون وجنوده كما ذكر تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[سورة الدخان: ٣٠ -٣١]، ورأوا بأعينهم غرق فرعون وجنوده، وساروا إلى أرض فلسطين بالشام آملين أن يصبحوا أمة قوية بإيمانهم، صالحة بأعمالها، بعد أن أصبحوا أحرارا في شئونهم وتصرفاتهم وأحوالهم، وأصبح لهم قائد من بينهم ينظر في أحوالهم، ويرد قويهم عن ضعيفهم، ويجمعهم من تفرق، ويهديهم من ضلال، وأصبح لهم جيش يقوم على حمايتهم.

ومن هنا يمكن القول: إن تاريخ بني إسرائيل لم يبتدئ إلا بعد خروجهم من مصر، وظل موسىعليه السلام يبلغ رسالته

(٨) بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٢٣.

(٩) بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٢٤.

إلى بني إسرائيل، ويواصل سيره إلى أرض الشام، وقبل أن يصل إلى الأرض المقدسة التي كان يسكنها الكنعانيون الجبابرة أمرهم موسى أن يُعدّوا أنفسهم لجهاد هؤلاء الجبابرة.

واختار منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يتقدموه في دخول الأرض المقدسة لمعرفة أحوالها وأحوال سكانها، ونفذ النقباء ما كلفهم به موسى عليه السلام، ثم عادوا ليقولوا له: إن الأرض المقدسة تدر لبنا وعسلا إلا أن سكانها من الجبارين، وأخذ كل نقيب يخذل جماعته عن دخولها، إلا رجلين منهم، فإنهما أمرا بني إسرائيل أن يطيعوا نبيهم موسى وأن يصمموا على دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم وبشرهم بالنصر إذا اعتمدوا على الله تعالى وأخلصوا النية للجهاد، ولكن بني إسرائيل عصوا نصيحة الرجلين الناصحين لهم كما عصوا نبيهم موسى عليه السلام فكانت نتيجة جبنهم وعصيانهم أن ابتلاهم الله بالتيه أربعين سنة[١٠].

(١٠) بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٣٠.

وقد أخبرنا ربنا بما كان من القوم فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٠ -٢٦].

إلى أن مات موسى عليه السلام، فتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل،

وجعل الله النصر على يديه في دخول تلك المدينة المقدسة، وقد قسم يوشع بن نون الأرض التي استولى عليها من الكنعانيين بين الأسباط، وسكن بنو إسرائيل المدن والقرى والقصور والمنازل التي توارثوها من الكنعانيين.

وقد جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر (يوشع) أنه مات بعد أن بلغ من العمر مائة وعشر سنين، ودفن في أرض ميراثه في جبل (إفرائيم) قرب نابلس اليوم[١١].

ثالثاً: أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام:

من نعم الله على بني إسرائيل أن جعل فيهم الأنبياء والرسل يذكرونهم بنعم الله عليهم، كلما هلك نبي قام نبي آخر، وذلك منذ عهد أبيهم إبراهيم عليه السلام، إلى خاتم أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين موسى بن عمران وعيسى ابن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وأنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى والنبي ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث في أولها ثلاثة أنبياء؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس: ١٤] والذي عزز به "شمعون" وكان من الحواريين. وكانت الفترة التي لم يبعث الله تعالى فيها رسولا أربعمائة سنة وأربعا وثلاثين سنة[١٢].

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة. نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم، وإسماعيل، واسحق، ومحمد عليهم السلام، ولم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيل وعيسى، فإسرائيل يعقوب، وعيسى المسيح[١٣].

أنبياء لا حصر لهم؛ إسحاق ويعقوب

(١١) سفر يوشع إصحاح ٢٤.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي جـ٦ صـ١٢١.

(١٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي: المجلد الأول. [سورة البقرة: ٤٠].

ويوسف وموسى وهارون و أشعياء و إلياء وزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم كثير؛ لدرجة أن الله كان يبعث لهم أكثر من نبي في وقت واحد؛ فقد بعث لهم موسى وهارون في آن واحد، وعيسى في عصر يحيى، ويعقوب ويوسف وجدا في زمن واحد، وغير ذلك مما نص عليه القرآن الكريم، وذكره العهدان القديم والجديد.

العلة من كثرة الأنبياء في بني إسرائيل:

كثرة الأنبياء في بني إسرائيل نتيجة منطقية لفسادهم وانحرافهم، فقد كان النبي يأتي ومعه أو في عقبه نبي آخر؛ وهذا دليل على صلابة رقابهم، وجفاء طباعهم، وقسوة قلوبهم.

وكما يقولون: كثرة الدواء والعلاج دليل واضح على استعصاء المرض وتفشيه.

يقول المؤرخون: إن معظم الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله -عز وجل- إلى العالم كانوا في اليهود، وإذا علمنا أن عدد الأنبياء والرسل كان بالآلاف (مائة وأربعة وعشرون ألف نبي وثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا) أدركنا مدى تفشي الانحراف والفساد في اليهود، لدرجة أنهم واجهوا رسل الله وأنبياءه بالقتل والتكذيب، وإلى هذا يشير المولى سبحانه في سورة البقرة بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[سورة البقرة: ٨٧].

وهذه ملاحظة مهمة ينبغي أن يعيها المسلمون تماما، حتى يعلموا الطبيعة اليهودية الخبيثة التي لا تستجيب إطلاقا لداعي الخير مهما كانت الظروف[١٤].

رابعاً: كتبهم المقدسة:

الكتب المقدسة لدى بني إسرائيل هي التوراة والإنجيل.

والتوراة هي التي أنزلها الله -عزّ وجلّ- على موسى عليه السلام أو ما يسمونه بالعهد القديم، وهي تعني الشريعة أو التعاليم الدينية. وتنقسم على أربعة أقسام

(١٤) نقلا عن كتاب العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية صـ ١٢٠.

القسم الأول: ويشمل أسفار موسى الخمسة، وهي سفر التكوين أو سفر الخليقة، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، وهذه الأسفار تسمى التوراة.

والقسم الثاني: وهو الأسفار التاريخية، وهي اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين، وتفصّل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم، والحوادث البارزة في شئونهم، وهذه الأسفار هي أسفار يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل، والملوك، وأخبار الأيام، وعزرا، ونحميا، وأستير.

القسم الثالث: وهي أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي خمسة أسفار أيوب، ومزامير داود، وأمثال سليمان، والجامعة من أمثال سليمان، ونشيد الأناشيد لسليمان.

القسم الرابع: يسمى أسفار الأنبياء، وعددهم سبعة عشر سفرا، وهي أسفار أشعياء، ومرمي رمياء، وحزقيال، ودنيال وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونس أويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي[١٥].

والذي يعنينا من هذه الأقسام الأربعة هو القسم الأول، الذي يشمل أسفار موسى الخمسة، والتي نسبت لموسى عليه السلام ويعتقد اليهود أنها وحي من الله تعالى، وما عدا هذه الأسفار الخمسة هو حشد من المؤلفات البشرية التي لم يخبرنا القرآن الكريم عنها شيئا.

وأما الإنجيل: فهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام ويسميه النصارى بالعهد الجديد، ويشتمل على الأناجيل الأربعة التي هي بين أيدي النصارى الآن، وهي إنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وإنجيل لوقا، وإنجيل مرقص؛ ومجموع هذه الكتب (العهد الجديد مع العهد القديم) تسمى بالكتاب المقدس.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى

(١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام صـ١٣.

التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما على موسى وعيسى عليهما السلام، وجعلهما مصدر هداية للناس من بني إسرائيل؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[سورة آل عمران: ٢ -٤] وقال سبحانه: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[سورة المائدة: ٤٦].

كما أخبرنا القرآن الكريم بأن اليهود والنصارى قد امتدت أياديهم الآثمة إلى كتبهم المقدسة بالتحريف والتبديل، وإخفاء مالا يتفق مع هواهم، وقال تعالى في شأنهم: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٦٨] والحقيقة أننا إذا نظرنا إلى التوراة التي في أيدي اليهود -اليوم -من حيث السند أو المتن؛ وجدنا ما يأتي:

أولا: من حيث السند: فإنه ليس لها سند متصل إلى موسى عليه السلام وقد افتقدت أبسط شروط التواتر، إذ أنها تعرضت للسلب مع التابوت، ولم يرجع منها إلا بقية لا يُعلم قدرها، وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[سورة البقرة: ٢٤٨].

ثم اختفت التوراة، إلى أن جاء يوشع بن نون، وظهرت في عهده، وكان ذلك بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على العرش[١٦]. ولا بد لكي يكون الكتاب سماويا واجب التسليم

(١٦) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية صـ ١٨٠.

أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل، بلا تبديل ولا تغيير، وهو ما يعرف بالتواتر الذي نقله جمع عن جمع، يؤمَنُ تواطؤهم على الكذب، حتى تصل السلسلة إلى الرسول الذي أسند إليه الكتاب[١٧].

ثانيا: أنها ضمت أحداثا وقعت بعد وفاة موسى عليه السلام مما يدل على أن أيدي البشر قد امتدت إليها بالنقص والزيادة والتحريف والتبديل؛ من ذلك ما ورد في سفر التثنية (فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم)[١٨].

فليس من المعقول أن يكون هذا النص الذي ورد بصيغة الماضي، والذي يتحدث عن وفاة موسى عليه السلام ودفنه، وعدم معرفة قبره إلى اليوم جاء ضمن التوراة التي أنزلها الله عليه، فالموجود الآن عبارة عن مجموعة من الروايات والقصص المشهورة بين اليهود، جمعها أحبارهم بلا نقد أو تحر للحقيقة، والذي يلاحظ المدة الزمنية التي عاش فيها موسى، والفترة التي كتبت فيها الأسفار المقدسة، يجد البون شاسعا بين موسى والأسفار التي نسبت إليه[١٩].

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: ظهر للمحدثين من الباحثين أنها أي الأسفار أُلّفت في عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام بأمد غير قصير وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد أُلّف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفري التثنية قد أُلف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفري العدد واللاوين قد أُلّف في القرنين الخامس والرابع ق م، وأنها جميعا

(١٧) كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي صـ٧٤.

(١٨) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ١٦٦.

(١٩) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ١٦٨.

مكتوبة بأقلام اليهود، ثم يقول ﷺ: فهي تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن الكريم أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام[٢٠].

شهادة سبينوزا اليهودي على تحريف التوراة:

ولد سبينوزا في ١٦٣٢م وتوفي في ١٦٧٧م فيلسوف يهودي حتى النخاع، ومن أشهر فلاسفة أوربا بعد زمنه، ومازال مذهبه في الفلسفة شديد التأثير على الكثيرين، وما ذكره عن التوراة وكتب العهد القديم اليهودية يصدق فيه قول القرآن: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [سورة الأحقاف: ١٠] والشاهد في الآية هو عبد الله بن سلام وكان يهودياً وأسلم وشهد أن اليهود مزورون، وكانت شهادته موضوعية ومن التوراة، أما سبينوزا فلم يسلم وشهد عليهم أيضاً بالتزوير، وشهادته موضوعية وموثقة وموضوعها التوراة وكتب اليهود المقدسة بكاملها.

نذكر من شهادته سبينوزا على قومه ما قاله في الفصل الرابع والثلاثين من سفر التثنية في العبارات من (٥) حتى (١٢) أنه مات في أرض كذا ودفن في المكان الفلاني، ومع تحديد مكان دفنه إلا أنه فيما يبدو كذب وافتراء؛ لأنه لم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا، وكان عمره وقت أن مات ١٢٠ سنة، ومع ذلك لم يكل بصره، ولم تذهب نضارته، وظل يكتب كما يدعي عزرا، ورغم تقدمه في السن فإن بني إسرائيل ظلوا يبكون عليه ثلاثين يوماً.

وأعجب العجب أن يؤبِّن موسى نفسه؛ فيقول عن نفسه: ولم يقم من بعده نبيٌّ في إسرائيل كموسى الذي عرفه الربُّ وجهاً إلى وجه في جميع الآيات والمعجزات التي بعثه الرب ليصنعها في أرض مصر بفرعون وجميع عبيده وجميع أرضه وفي كل يد قديرة وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون جميع بني إسرائيل، ثم يقول: فهل قرأنا يوماً عن ميت يقارن موته بموت آخرين

(٢٠) كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام صـ١٧.

جاءوا بعده، وفي عصور تالية عليه.

ثم يقول سبينوزا: ومن الغريب أن يقال: إن الله كلم يوشع بعد وفاة موسى وأنه ظل يلازمه ويرشده ليغزو البلاد ويطرد الناس، ويقتلهم من أمامه شعوباً كاملة وأمماً وملوكاً، ويعطيه أرضهم يقسمها بين الإسرائيليين، ويتساءل سبينوزا، تُرى، من كتب هذا السفر؟. وهل أملاه يوشع على آخرين؟. وهل أملى هذا الكلام عن نفسه يمتدح نفسه ويعدد أفضاله؟. ويتساءل سبينوزا، أليست هذه التوراة كتاباً تاريخياً وطنياً لبني إسرائيل؟. أليست سجلاً قومياً لأمجاد إنتحلوها؛ ليقنعوا بها الناس، وصدقوها هم أنفسهم[٢١]؟.

فهذه شهادة سبينوزا اليهودي، وهي شهادة تؤكد على ما وقع للتوراة من تحريف وتبديل، وأن هذه التوراة التي بين أيدينا ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وهذه حقيقة يجب الإيمان بها؛ لأن القرآن الكريم نصّ على ذلك قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [سورة النساء: ٤٦] وقال تعالى﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [سورة المائدة: ١٣] وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: ٧٥] وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

ويعتبر هذا من معجزات النبي محمد ﷺ لأنه أميّ؛ كان يقرأ بالكاد ولا يكتب، (والتوراة كانت مكتوبة بالعبرية واليونانية والآرامية والسريانية ولم تكن قد ظهرت ترجمة عربية بعد، فقد كانت أول ترجمة عربية هي التي توافر عليها سعديا بن يوسف الفيومي المصري وهو من الذين عاشوا في القرن العاشر الميلادي

(٢١) موسوعة القرآن العظيم/ د. عبد الحليم حفني صـ ٤٨٣ -٤٨٤ جـ١.

(٨٩٢م -٩٤٢م)[٢٢] يعني كان بينه وبين النبي ﷺ (٥٧١م -٦٣٢م) ثلاثة قرون، فمن أين للنبي محمد ﷺ بهذه المعلومات إلا إذا كان يوحى إليه من لدن حكيم عليم ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

المبحث الثاني:

دعوة موسى عليه السلام لبني إسرائيل:

يحتاج كثيرٌ من شبابنا وأبنائنا الى أن يتعرفوا على نبيّ الله موسى عليه السلام ودعوته لبني إسرائيل، وموقفهم من ذلك... ومن ثم فإننا نتناول في هذا الموضوع:

- موقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام ودعوته.
- تعريف بموسى عليه السلام.
- تعريف بدعوة موسى عليه السلام.
- موقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام.
- موقف بني إسرائيل من دعوة موسى عليه السلام.

(٢٢) موسوعة القرآن العظيم/ د. عبد الحليم حفني صـ ٤٨٦ جـ ١.

تصور سورة القصص كل ما جرى لموسى عليه السلام، فيقول سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القصص: ٧ -١٣].

شب موسى وترعرع في بيت فرعون، ولما بلغ أشده اتجهت إليه

أنظار المستضعفين من بني إسرائيل؛ لينقذهم من الذل والمهانة، والضعف والاستكانة، ويرفع عنهم الآلام والمعاناة التي وقعوا فيها، فهم قومه وأهله وبنو رحمه، وقد كان موسى عليه السلام يشعر بتلك المسئولية الملقاة على عاتقه، فقد خرج يوماً على حين غفلة من أهل المدينة، فوجد رجلين يقتتلان، أحدهما عبري من أشياعه، والآخر مصري من آل فرعون، يسعى الآخر لتسخير الأول عنده في بعض أعماله، فاستغاث العبري بموسى عندما رآه، واستعان به على المصري، فهمّ موسى عليه السلام بالمصري فوكزه وكزةً كانت القاضية، ولم يعلم بذلك أحد إلا العبري الذي استنصر بموسى، وندم موسى عليه السلام على ذلك ندماً شديداً، وعدَّها من عمل الشيطان، وتضرع موسى إلي ربه، وندم على ما جنت يداه، واستغفر ربه فغفر له، وعزم موسى عليه السلام على ألا يكون ظهيراً للمجرمين، أو ناصراً للمعتدين.

يصور القرآن الكريم ذلك فيقول سبحانه: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ (٢٣) وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القصص: ١٤ -١٧].

فلما كان اليوم التالي، خرج موسى عليه السلام إلى المدينة وهو خائف أن يفتضح أمره، أو تكشف فعلته التي اقترفها بالأمس، فإذا به يجد ذلك الإسرائيلي يقاتل مصرياً آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على المصري، وعلى الرغم من عزم موسى عليه السلام على عدم مظاهرة المعتدين إلا أنه هم ببطش المصري، وفي نفس الوقت قال للإسرائيلي إنك لغويٌ مبين، فخاف

(٢٣) هذا من شيعته أي من بني إسرائيل. «وهذا من عدوه» أي من قوم فرعون «فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه» أي طلب نصره وغوثه.

الإسرائيلي على نفسه أن يكون موسى أراد تأديبه والبطش به، فقال كما حكى القرآن الكريم: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارَۢا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [سورة القصص: ١٩].

فلم يكد المصري يسمع ذلك الخبر الذي شغل بال المصريين حتى انطلق يذيعه بين الناس، فتألب القوم يبحثون عن موسى عليه السلام وصدر الأمر الفرعوني بإرسال الجلادين والذباحين لإحضار موسى وتمزيقه شر ممزق، وكان من بين هؤلاء القوم رجل رشيد، جاء من أقصى المدينة يسعى، سالكاً أقصر الطرق ليحذر موسى من اجتماع القوم عليه، ناصحاً إياه بالخروج من مصر في أسرع وقت حتى لا تمتد إليه يد السوء، فقبل منه موسى تلك النصيحة وهام على وجهه قاصداً أرض مدين.

يصور القرآن الكريم تلك الواقعة فيقول سبحانه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٢٠ -٢١] وكان هذا فضلاً من الله -عزّ وجلّ- ونعمه على موسى عليه السلام أن نجّاه من بطش الباطشين، وظلم الظالمين، فقد امتن الله تعالى عليه بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾[سورة طه: ٣٧ -٤٠] ومكث موسى عليه السلام في مدين عشر حجج، كانت عبارة عن فترة إعداد روحي وعلمي معاً؛ ليمرن على تكاليف الدعوة قبل أن يتلقاها. قال تعالى حكاية عن صاحب مدين: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ

أَشُقَّ عَلَيْكَ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[سورة القصص: ٢٧-٢٨].

وهكذا هيأ الله تعالى موسى عليه السلام للقيام بأعباء الدعوة، وأكسبه من الخبرات والتجارب ما صقل نفسه، وجعله ينهض لدعوته كأكفأ ما يكون، مما جعله من أولي العزم من الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وهذه سنة الله في رسله وأنبيائه وأصفيائه فهم رعاة للحق وقادة للخلق..

بعدها أخذه الشوق إلي وطنه الذي ولد فيه وترعرع، فعاد بزوجته إلي وطنه، وهو في طريق عودته اختاره الله عز وجل لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٢٩-٣٠].

التعريف بدعوة موسى عليه السلام:

لم يكن موسى بدعاً من الرسل، فقد جاء يحمل رسالة السماء التي دعا إليها من سبقه من الأنبياء والرسل، كما دعا إليها من تبعه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم ﴾ [سورة يوسف: ١٠٩] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[سورة الأنبياء: ٢٥] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ [سورة النحل: ٤٣-٤٤].

فقد كان هذا هو جوهر الرسالات السماوية، وإن اختلفت في بعض فروعها، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

[سورة الشورى: ١٣] فدين الله تعالى واحد لم يتغير ولم يتبدل ولم يقبل الله تعالى ديناً سواه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٨٥] وإلي هذا دعا موسى قومَه ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[سورة يونس: ٨٤] وقد أقر بها بنو إسرائيل ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة يونس: ٨٥] بل إن فرعون نطق بها عندما أدركه الغرق﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[سورة يونس: ٩٠] وقد دعا موسى عليه السلام ربه أن يقوي عضده، ويشد أزره بأخيه، فقال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾[سورة طه: ٢٩ -٣٢]، فاستجاب الله تعالى له ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ٣٥].

وقد قامت دعوة موسى عليه السلام على اللين، والرحمة، والعطف حتى مع أعتى البشر؛ قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[سورة طه: ٤٣ -٤٤] حمل موسى وأخوه هارون عليهما السلام رسالة ربهما، وقد استعانا بالله -عزّ وجلّ-على أداء مهمتهما، وقد شد الله -عزّ وجلّ -أزرهما بقوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٥ -٤٦] واتجها عليهما السلام إلى فرعون يدعوانه إلى التخلي عن بني إسرائيل، ويعرّفانه بالإله الواحد الحق، علّه يلين ويرق، ويترك ما فيه من ظلم لقومه، وادعاء للألوهية الكاذبة.

واستغرب فرعون هذه الدعوة الجديدة من ذلك الإنسان الذي نشأ تحت عينه، وله عليه فضل التربية، إلي أن غاب عنه عشر سنين، ثم ظهر بعدها يدعوه إلي عبادة الله عز وجل، فقال له فرعون كما حكى القرآن: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٨-١٩] ثم يسأل فرعونُ -باستغراب- موسى عليه السلام عن هذا الإله الذي يؤمن به، ويدعو إليه، كما حكى القرآن الكريم: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٣].

وهنا يحيل موسى عليه السلام فرعونَ إلى الكون وما فيه من آثار؛ تدل على قدرة الله -عزّ وجلّ- الخالق المبدع الذي أتقن كل شيء ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [سورة طه: ٥٠-٥٥].

وتتغلب الشقاوة على فرعون فيرفض دعوة موسى عليه السلام إليه، ويصر على مجابهة موسى وأخيه عليهما السلام رغم ما أبداه موسى عليه السلام من آيات أيده الله تعالى بها ﴿ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾[٢٤] إلا أن هذه الآيات ما زادتهم إلا جحوداً واستكباراً ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل: ١٣-١٤].

ومن ثم برزت دعوة موسى عليه السلام تعالج الخلل الذي وقع فيه بنو إسرائيل،

(٢٤) [سورة الشعراء: ١٥] وهذه الآيات هي: ١- العصا. ٢- اليد. ٣- الطوفان. ٤- الجراد. ٥- القمل. ٦- الضفادع. ٧- الدم. ٨- السنون (الجدب والقحط). ٩-انفلاق البحر قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم. بسبب (دعاء موسى وتأمن هارون، فقال: قد أجيبت دعوتكما) والسنين ونقص الثمرات تفسير الإمام جلال الدين السيوطي من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء وذكر البري عن ابن عباس: هي "العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم" آيات مفصلات.

محاولاً استعادة مظاهر التوحيد، وعوامل القوة والشجاعة في هذا الشعب الذي ألف الاستكانة والخور، وبعُدَ عن حياة الجد والرجولة والكفاح، من كثرة ما لاقوه من بغي وإذلال.

وقد اشتملت دعوة موسى عليه السلام على ما يلي:

أولاً: الدعوة إلى توحيد الله تعالى وقد اتفقت الشرائع كلها على ذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[سورة الأنبياء: ٢٥] قال الإمام جلال الدين السيوطي: أرسلت الرسلُ بالإخلاص والتوحيد لله، لا يقبل منهم حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع تختلف في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي القرآن شريعة، حلال وحرام فهذا كله في الإخلاص لله وتوحيد الله[٢٥].

وقال القرطبي: أي قلنا للجميع لا إله إلا الله؛ فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إما معقول وإما منقول. وقال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد[٢٦].

ولأن توحيد الله تعالى أساس كل شريعة، فكان لزاماً على موسى عليه السلام أن يغرس التوحيد أولاً في قلوب أتباعه؛ ليكون مصدر عزة وقوة لهم على مواجهة بطش فرعون وجنوده. قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[سورة البقرة: ٨٣].

ثانياً: الدعوة إلى إخلاص العبادة الله عزّ وجلّ.

ثم يدعوهم موسى عليه السلام إلى إعمال

(٢٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي.

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: الجزء ١١ صـ ٢٠٨ من الطبعة المذكورة. سورة الأنبياء. الآية: ٢٥.

شرع الله تعالى، وذلك بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدقات ليتحقق لهم النصر، وتغفر لهم الذنوب؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ١٢].

ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:

ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء؛ فما يتكبر متكبر إلا بعدم إيمانه بيوم الحساب قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة غافر: ٢٧] (وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب لم يكن للثواب على الإحسان راجيا، ولا للعقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة)[٢٧].

وقول موسى: إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (أي عذت بالله ولجأت إليه بجنابه من أن يسطو فرعون وغيره على بسوء، وقوله من كل متكبر أي جبار عنيد لا يرعوي ولا ينتهي ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يعتقد معادا ولا جزاء ولهذا قال من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)[٢٨].

رابعاً: الدعوة إلى الصبر والتحمل؛ ليتحقق لهم وعد الله تعالى وراثة الأرض، والتمكين فيها إن هم آمنوا واتقوا ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن

(٢٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للإمام الطبري جزء ٢٤. سورة غافر القول في تأويل الاية ٢٧.

(٢٨) البداية والنهاية، للإمام ابن كثير: الجزء الأول. فصل: ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط.

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨ -١٢٩] لكن القوم قد تبلدت مشاعرهم، وقست قلوبهم، ولم يستجيبوا لنبي الله ولم يتقوه في وعده، والسبب في ذلك يوضحه لنا د. جمعة علي الخولي بقوله: يبدوا أن الفترة التي عاشها بنو إسرائيل تحت ظل الاضطهاد الفرعوني مسختهم، وجعلت منهم شعباً متبلد الحس، سلبي الإرادة، ولذا لما دعاهم موسى عليه السلام إلى دخول الأرض المقدسة جبنوا وتقاعسوا[٢٩]، وقالوا لموسى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٢] نعم، فقد أفقدهم الذل والاستبداد الإحساس بالعزة، حتى لم يعودوا يفكرون في الدفاع عن أنفسهم، ولما دعاهم بعضُ من أنعم الله تعالى عليهم واستجاش في صدورهم الشهامة، والمروءة، والرجولة، والإقدام: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[سورة المائدة: ٢٤] ومن ثم كان عقاب الله تعالى حليفهم؛ إذ حرّمها عليهم أربعين سنة تاهوا خلالها في الأرض.. إلى أن قيض الله تعالى لهم يوشع بن نون.

قال قتادة: لما جبن القوم عن عدوهم وتركوا أمر ربهم قال الله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٦] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: تاهوا أربعين سنة، فهلك موسى وهرون في التيه، وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون، وهو الذي قام بالأمر بعد موسى، وهو الذي قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها،

(٢٩) تاريخ الدعوة ا د. جمعة علي الخولي ج١ ص٢٨٣ ط دار الطباعة المحمدية ١٩٨٤.

فدنت الشمس للغروب، فخشي ان دخلت ليلة السبت أن يسبتوا، فنادى الشمس: إني مأمور وانك مأمورة. فوقفت حتى افتتحها، عن مجاهد قال: تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة، يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا في تيههم[٣٠].

موقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام:

لقد كان موقف بني إسرائيل من نبي الله موسى عليه السلام لا يختلف كثيراً عن موقفهم من باقي أنبياء الله ورسله عليهم السلام والذين يأمرون بالقسط من الناس، فقد كان إيذاؤهم له متعدد الألوان والأشكال، والذي أشارت إليه آيةُ آل عمران ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[سورة آل عمران: ٢١] قال القرطبي: قال أبو العباس المبرد: كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله عز وجل فقتلوهم، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمروهم بالإسلام فقتلوهم؛ ففيهم نزلت هذه الآية[٣١] وكذلك قال معقل بن أبي مسكين: كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تجيء إلى بني إسرائيل بغير كتاب فيقتلونهم، فيقوم قوم ممن اتبعهم فيأمرون بالقسط (أي بالعدل) فيقتلون[٣٢]. وقد روي عن ابن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، بئس القوم قوم يمشي المؤمن بينهم بالتقية)[٣٣].

روى أبو عبيدة بن الجراح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قَتَلَتْ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة

(٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي: المجلد الثالث.

(٣١) الجامع لأحكام القرآن سورة آل عمران. الآية٢١.

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن سورة آل عمران. الآية٢١.

(٣٣) الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود، تصحيح السيوطي: ضعيف.

واحدة، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم، وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية)[٣٤].

وقد حذر الله تعالى المؤمنين من أن ينالوا من نبيهم كما فعل بنو إسرائيل مع أنبيائهم ومصلحيهم فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾[سورة الأحزاب: ٦٩]

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال عَنْ عَبْدِ اللهِّ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ، رَسُولُ اللهِّ ﷺ نَاساً فِي الْقِسْمَةِ. فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ. وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ. وَأَعْطَى أُنَاساً مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ. وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِّ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِّ. قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِّ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ. قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ[٣٥]. ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُّ وَرَسُولُهُ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُّ مُوسَى. قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[٣٦].

وقد صرح بنو إسرائيل لموسى عليه السلام بذلك؛ فآذوه بالقول وبالفعل، وكانوا يتسخطون عليه وهو يحاول إنقاذهم من بطش فرعون وجنوده؛ فكانوا يقولون له لائمين متبرمين: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٩] كأنهم لا يرون في رسالته خيراً، أو كأنما يحمّلونه تبعة هذا الأذى، ولكن موسى عليه السلام يرد عليهم بكل حلم وصبر قائلاً كما ذكر القرآن الكريم: ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٩].

(٣٤) مجمع الزوائد. للحافظ الهيثمي ٣٢. كتاب الفتن ٢٨. باب الكلام بالحق عند الحكام. الحديث رقم: ١٢١٦٦.

(٣٥) هو بكسر الصاد المهملة وهو صبغ أحمر تصبغ به الجلود، قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضاً صرفاً.

(٣٦) صحيح مسلم.

ومن هذا الإيذاء والذي تعرض له موسى عليه السلام ما أورده البخاري ومسلم: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة[٣٧]، ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[٣٨]، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر. وفي رواية لمسلم: حَتّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى. قَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ حَتّى نُظِرَ إِلَيْهِ. قَالَ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْباً». فقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى بِالْحَجَرِ[٣٩].

ومن مظاهر إيذاء موسى عليه السلام أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: آذوا موسى بأن قالوا: قتل هارون؛ وذلك أن موسى وهارون خرجا من فحص التيه إلى جبل فمات هارون فيه، فجاء موسى فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، وكان ألينَ لنا منك وأشدَّ حبا. فآذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى طافوا به في بني إسرائيل، ورأوا آية عظيمة دلتهم على صدق موسى عليه السلام، ولم يكن فيه أثر القتل[٤٠] وقيل: إن أذية موسى عليه السلام رميهم إياه بالسحر والجنون[٤١].

ومن مظاهر إيذاء موسى عليه السلام ما ذكره القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أمر الله تعالى برجم الزاني عمد قارون إلى امرأة بغي وأعطاها مالا، وحملها على أن ادّعت على موسى أنه زنى بها وأنه أحبلها؛ فعظم على موسى ذلك وأحلفها بالله الذي فلق

(٣٧) (عراة) جمع عار، والظاهر أنه لم يكن حراما في شرعهم، وإلا لأنكر عليهم موسى عليه السلام.

(٣٨) (آدر) كبير الخصيتين.

(٣٩) أخرجه مسلم في الحيض، باب: جواز الاغتسال عريانا في الخلوة. وفي الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام.

(٤٠) الجامع لأحكام القرآن سورة الأحزاب. الآية: ٦٩ جـ١٤ صـ ٢٥١.

(٤١) "المرجع السابق".

البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت فتداركها الله تعالى فقالت: أشهد أنك بريء، وأن قارون أعطاني مالا، وحملني على أن قلت ما قلت، وأنت الصادق، وقارون الكاذب؛ فجعل الله أمر قارون إلى موسى، وأمر الأرض أن تطيعه، فجاءه وهو يقول للأرض: يا أرض خذيه؛ يا أرض خذيه، وهي تأخذه شيئا فشيئا، وهو يستغيث: يا موسى إلى أن ساخ في الأرض هو وداره وجلساؤه الذين كانوا على مذهبه[٤٢].

وذكر القرطبي من رواية السدي اسم البغي والمال الذي بذل لها فقال: قال السدي: وكان اسم البغي سبرتا، وبذل لها قارون ألفي درهم[٤٣].

ومن مظاهر الإيذاء الذي تعرض له موسى عليه السلام أيضاً قول بني إسرائيل له وقد أنجاهم الله من بطش فرعون ونجاهم من الغرق: ﴿ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾. وذلك فيما حكاه القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨ -١٤٠] قال قتادة: كان أولئك القوم من لخم، وكانوا نزولا بالرقة. وقيل: كانت أصنامهم تماثيل بقر؛ ولهذا أخرج لهم السامري عجلا[٤٤]. وكان موسى عليه السلام بعدما نجاه الله تعالى ومن معه من بني إسرائيل من فرعون وجنوده قد مروا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال لهم موسى أنكم قوم تجهلون... وقد آذاه هذا القول.

ونظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يوما؛ فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات

(٤٢) الجامع لأحكام القرآن جـ١٣ صـ٣١٠.
(٤٣) الجامع لأحكام القرآن جـ٣١صـ١١٣.
(٤٤) المرجع السابق.

أنواط كما لهم ذات أنواط[٤٥]. فقال عليه الصلاة والسلام: (الله أكبر. قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى "اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون" لتركبن سنن في قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إنهم لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه)[٤٦].

وقد صرح النبي ﷺ بأن شرار هذه الأمة هم الذين يقدمون على مثل هذه الأفعال؛ عن شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال: ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة[٤٧].

ومن مظاهر الإيذاء لموسى عليه السلام قول بني إسرائيل له وقد دعاهم إلي قتال العمالقة من أهل أريحاء من بلاد فلسطين قالوا: لا علم لنا بتلك الديار.. ثم قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[سورة المائدة: ٢٤] فقد آذى موسى عليه السلام هذا الرد من بني إسرائيل، فقد جهلوا صفة الرب تبارك وتعالى ووصفوه بالذهاب والانتقال، والله متعال عن ذلك، يقول القرطبي: وهذا يدل على أنهم كانوا مشبهة[٤٨].

وقيل إن من مظاهر الإيذاء لموسى عليه السلام نهم لما قالوا له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، عظم ذلك على موسى عليه السلام[٤٩] وقيل آذوه بقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾[٥٠].

وهذا كله يدل على زيغ قلوبهم، وسفاهة عقولهم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[سورة الصف: ٥] أي:

(٤٥) وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها ويذبحون عندها؛ فسميت ذات أنواط، وكانت تعبد من دون الله.

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن القرطبي جـ٧صـ٢٧٣.

(٤٧) مسند الإمام أحمد. المجلد الرابع. مسند الشاميين. حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤٨) الجامع لأحكام القرآن جـ٦ صـ ١٢٨ [والآية من سورة المائدة: ٢٢].

(٤٩) "التفسير الكبير جـ٢٩ صـ٢٧١" والآية ١٥٣ من سور النساء.

(٥٠) "التفسير الكبير جـ٢٩ صـ٢٧١" والآية ٦١ من سورة البقرة.

فلما مالوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن الهدى. أو: فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الصواب.

وقيل: لما تركوا ما أمروا الله تعالى به من احترام الرسول عليه السلام، وطاعة الرب سبحانه وتعالى؛ خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم، وقد بذل موسى عليه السلام جهداً عظيماً في تقويم اعوجاجهم وإصلاح فسادهم، وبين لهم كل أسباب الاستقامة، ومع هذا كله زاغوا فزادهم الله زيغاً، ولم تعد قلوبهم صالحة لحمل الهدى فأصبحوا من الفاسقين(٥١). لذا استحقوا هذا الوصف الذي جاء في سورة الصف ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة الصف: ٥].

وبسبب هذا الفسوق والتمرد والعصيان والتطاول على الذات الإلهية، والأذى للرسل عليهم السلام لم تعد لهم قوامة على هذا الدين، ولم يعودوا صالحين لحمل هذا الأمر، وقد ضلوا عن المنهج القويم والصراط المستقيم.

(٥١) التفسير الكبير جـ٢٩ صـ٢٧١.

موقف بني إسرائيل من دعوة موسى عليه السلام:

عاش بنو إسرائيل في مصر عرضةً للسخرة والإهانة، والاستبداد والاستعباد، ليس لهم قائد يقودهم أو دستور يجمعهم أو جيش يدافع عنهم أو حاكم يتولى أمرهم، حتى قيض الله لبني إسرائيل رجلاً منهم يعرفهم ويعرفونه، يتولى أمرهم ويدبر شئونهم ويقودهم إلى مرحلةٍ جديدة في حياتهم، جاء وأخوه لإنقاذهم من بطش فرعون وجنوده، كما ذكر سبحانه مخاطبا موسى عليه السلام: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٢ -٤٤].

وقد أيّد الله تعالى موسى عليه السلام بالآيات الباهرات الظاهرات، إلا أن فرعون جحدها واعتبرها نوعاً من أنواع السحر الذي برع فيه رجاله؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة النمل: ١٣ -١٤]

وتغلبت نفس فرعون الشقية عليه فـ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [سورة الشعراء: ٣٤-٣٨].

وأعز الله موسى عليه السلام وأيده بنصرٍ من عنده في يوم زينتهم، وأمام أعين الجميع، حتى آمن به سحرة فرعون ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٨].

وتمادى فرعون في غيّه، وغلبت عليه نفسه الشقية التي لا ترى الخير والعز إلا في وفرة المال، ولا تعرف أن الله يختص برحمته من يشاء قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [سورة الزخرف: ٥١-٥٦] ولما أخذت فرعونَ العزةُ بالإثم، وعتا عن أمر الله عزّ وجلّ، وتمادى في تكذيب موسى عليه السلام واستمر في إعنات بني إسرائيل، وإيقاع ضروب الإذلال والإهانة بهم، أمر الله موسى أن يعلن فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاءً لهم على تكذيبه، وامتناعهم من إطلاق بني إسرائيل معه. فكان كلما وقع بهم عذاب بعد إنباء موسى إياهم به وعدوه بالإيمان به تارة، وبإرسال بني إسرائيل معه تارةً أخرى إذا سأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب، فإذا كشف الله عنهم ما نزل بهم عادوا إلى طغيانهم وغدروا بعهدهم، وخاسوا بوعدهم، وهكذا إلى أن كانت الآية الكبرى، والبطشة العظمى وهي إغراق فرعون في اليم،

ونجاة بني إسرائيل[٥٢].

ومنَّ الله على بني إسرائيل بالخروج من مصر، والنجاة من فرعون وجنوده، وأصبح بنو إسرائيل أحراراً بعد أن أغرق الله عزَّ وجلَّ فرعون وجنوده أمام أعينهم، فهل قدّر بنو إسرائيل هذه النعمة؟.

ويبدو أن القوم قد ألفوا الاستعباد فلم يقدروا نعمة الحرية، ولم يشكروا الله على إنجائه لهم من عدوهم، بل زادت قبائحهم، وتبلدت أحاسيسهم، فلم يطيعوا نبيهم موسى الذي جاء لهدايتهم وإصلاحهم، والدفاع عنهم.

وهذه بعض القبائح التي صدرت عنهم وهم في طريقهم إلى أرض الشام.

فبعد أن رأى بنو إسرائيل غرق فرعون بأعينهم، وساروا مع موسى عليه السلام إلى بلاد الشام، شاهدوا قوماً يعبدون أصناماً لهم، فما لبث بنو إسرائيل بعد مشاهدتهم لهؤلاء الوثنيين إلا أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا أصناماً نعبدها، كما أن لهؤلاء أصناماً يعبدونها، وذلك لأن الوثنية التي عاشوا فيها في مصر كانت وما زالت عالقة بنفوسهم الضعيفة، وقد حكى القرآن عنهم هذه الرذيلة فقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨ – ١٤٠].

ولكن يبدو أن الأمر كان متغلغلاً في نفوس القوم، وحبهم لالتماس الإله المحسوس كان مسيطراً على عقائد القوم، فبمجرد أن ذهب موسى للقاء ربه إذا بالقوم يتجهون إلى اتخاذ إله مما صنعت أيدي السامري ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٨].

وهذا مشهد ثالث من سورة

(٥٢) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص٢٣٤.

المائدة، وهى مدنية النزول تعالج قضية الجهاد، فقد أصبح هناك دولة، لها أرضها وحدودها، ولها دستور ومنهج يحتاج إلى حماية وعناية، ولابد لها من جيش يدافع عنها، ويحمي أرضها ويسد ثغراتها.

ساقت السورة هذا المشهد ليعالج أي تقصير قد يقع فيه أحد من المسلمين خوفاً من مواجهة الأعداء، وهو لون من ألوان الإيذاء التي تعرض لها موسى عليه السلام من بني إسرائيل وهو قد عاش مع القوم وسار معهم في رحلة طويلة فقد خبرهم وجربهم في مواطن كثيرة منذ خروجهم معه من مصر. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٠: ٢٦].

إنها حلقة من حلقات بني إسرائيل التي فصلها القرآن وأوسع تفصيلها.. ذلك لحكم متشعبة الجوانب.

يأتي على رأسها أن بني إسرائيل هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد والحرب في المدينة وفي الجزيرة العربية كلها.

فقد كانوا حربا على الجماعة المسلمة منذ اليوم الأول. هم الذين احتضنوا النفاق والمنافقين في المدينة; وأمدوهم بوسائل الكيد للعقيدة وللمسلمين معاً، وهم الذين حرضوا

المشركين وواعدوهم وتآمروا معهم على الجماعة المسلمة. وهم الذين تولوا حرب الإشاعات والدس والكيد في الصف المسلم ; كما تولوا بث الشبهات والشكوك والتحريفات حول العقيدة وحول القيادة.

وهكذا يتبين -للقارئ الكريم- حقيقة بني إسرائيل وموقفهم من نبي الله موسى عليه السلام؛ فلم يكن بد من تعريتهم وكشف حقيقتهم للأمة الإسلامية، لتعرف من هم أعداؤها. ما طبيعتهم؟. وما تاريخهم وما وسائلهم؟. وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم؟.